التوسل المشروع والممنوع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين...أما بعد:

فإن المستقرئ لسيرة رسول الله ﷺ يعلم أنه بعث في قوم كانوا يغلون في حب الصالحين من الموتى غلوا أخرجهم من دين أبيهم إبراهيم عليه السلام.

ومن المعلوم أن ملة إبراهيم عليه السلام كانت دعوة الناس إلى أن يعبدوا الله وحده.

ومن المعلوم أن العبادة أنواع فمنها: الإيمان والإسلام والإحسان والصلاة والزكاة وسائر أركان الإسلام، والدعاء، والذبح، والنذر، والاستعانة، والاستعاذة، والخوف، والرجاء والرغبة، والرهبة...

العرب من الناحية الدينية زمن مبعث رسول الله ﷺ واعتراضه عليهم

فالجاهليون كانوا يصرفون بعض هذه الأنواع لغير الله ﷻ معتقدين أن أولئك الأولياء لهم وجاهة ومـ لة عند الله رفيعة، وأنهم يرفعون حاجاتهم إلى الله ﷻ مثال ذلكم: اللات الذي كان يدعى من دون الله ﷻ في الطائف، كان قبل موته رجلا نافعا للناس وخاصة الحجاج فقد كان يلت السويق - نوعا من الطعام تحتسيه العرب - ويقدمه لهم فلما توفي صار شأنه كشأن أي رجل يعتقد الناس فيه الصلاح والخير فأسف عليه أهل زمانه فصاروا يترددون إلى ضريحه ثم أقاموا عليه بناء ثم جعلوا يتوسلون به ويطوفون بقبره ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات، كما يطلب مثل ذلك من العزى ومناة كما قال الله ﷻ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ (١) [النجم: ١٩ - ٢٣]، وكانوا مع هذا يعلمون أن هؤلاء المدعوين لم يخلقوا شيئا من هذا الكون وأنهم لا يملكون رزقا ولا حياة ولا موتا وليس لهم من الأمر شيء.

قال الله ﷻ عن المشركين: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٢) [يونس: ٣١]، أي: ما دمتم تعلمون أن الفاعل لهذا هو الله أفلا تتقون الله فتفردونه بالدعاء كما أفردتموه بالخلق.

ومن هناك ندرك أن أولئك الكفار ما كانوا يرجون من وراء أولئك الصالحين إلا أن يقربوهم من الله ﷻ ظنا منهم أن الله يستجيب لهؤلاء الصالحين الموتى فيقضي حاجات المستغيثين بهم، وهذا فيه غاية التنقص للإله الحق، ووجه ذلك: أن الرب تبارك وتعالى ليس كالبشر يحتاج إلى وزير أو مساعد أو غيره كما هو حال البشر لعدم إحاطتهم بكل شيء.

---

(١) سورة النجم آية : ١٩ - ٢٣ .

(٢) سورة يونس آية : ٣١ .

ومن هنا ندرك من القرآن الكريم أن من دعا غير الله من الموتى وغيرهم فيما لا يقدر على تحقيقه إلا الله ﷻ فهو مشرك كافر بالله، قال الله ﷻ كاشفا شبهتهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ ﴾ [(١)] [الأعراف: ١٩٤].

وقد نص الله تعالى على أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو قدر فرضا وجدلا أنهم سمعوا فلن يستجيبوا لهم، وأنهم يوم القيامة يكفرون بفعلهم هذا وسمي فعلهم هذا، شركا بنص الآية وهي قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤ ﴾ [(٢)] [فاطر: ١٤]، إذا كل من دعي من دون الله من الموتى فهو لا يسمع قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [(٣)] [النمل: ٨٠]، وقال: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢ ﴾ [(٤)] [فاطر: ٢٢]، ولا يعلمون الغيب، فإذا كان رسول الله ﷺ لا يعلم الغيب كما في سورة الأعراف: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ ﴾ [(٥)] [الأعراف: ١٨٨]، فكيف بمن دونه ﷺ من البشر يعلم الغيب، فلا يمكن أن يعلم أن فلانا جاء إلى قبره فسأله، بل إنهم لا يسألون إلا معدوما ولا يصح أن نطلب منهم الشفاعة بجاههم عند الله فإن الله تعالى كفر العرب لطلبهم من الموتى ذلك مع قولهم: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [(٦)] [الزمر: ٣]، أي: ما ندعوهم

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٩٤ .
(٢) سورة فاطر آية : ١٤ .
(٣) سورة النمل آية : ٨٠ .
(٤) سورة فاطر آية : ٢٢ .
(٥) سورة الأعراف آية : ١٨٨ .
(٦) سورة الزمر آية : ٣ .

لأن الدعاء عبادة كما سيمر بك قريبا، ودعاؤهم للشفاعة خطأ عظيم لأنه تعالى يقول: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [1] [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [2] [الأنبياء: ٢٨]، وهو سبحانه لا يرضى طلب الشفاعة من الموتى لأن الميت لا حياة فيه ولا قدرة له فكيف تطلب من المعدوم، فلا تطلب إلا من يقدر عليها وهو الله تعالى.

الشفاعة حق

فنطلب من المولى أن يكرمنا - بمنه ولطفه يوم القيامة - شفاعة الصالحين سواء كانت الشفاعة لمن استحق منا النار نعوذ بالله منها، أو برفع درجاتنا بالجنة ونحو ذلك، فإن أي شافع لا يمكن أن يشفع إلا بإذن من الله تعالى حتى وإن كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا فكيف بمن دون هؤلاء من البشر قال تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦ ﴾ [3] [النجم: ٢٦]، ويقول تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [4] [البقرة: ٢٥٥]، ويقول تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨ ﴾ [5] [الأنبياء: ٢٨].

أنواع الشفاعة

فالشفاعة بناء على هذا شفاعتان:

(الأولى) شفاعة مثبتة: وهي خالصة وخاصة لأهل الإخلاص ولا تطلب إلا من الله، فإنه كما مر بك آنفا لا يشفع أحد لأحد إلا من بعد إذنه ورضاه تبارك وتعالى، وأن

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .
(٣) سورة النجم آية : ٢٦ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٥) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .

يكون راضيا عن المشفوع له، فإذا كان المشفوع له موحدا نفعته بإذن الله شفاعة الشافعين سواء كانت من الرسل أو النبيين أو الصديقين أو الأولياء والصالحين.

(الثانية) شفاعة منفية: وهي التي تطلب من غير الله سبحانه وتعالى كمن يطلبها من الموتى أو الغائبين أو الجن فإنا تطلب ممن لا يقدر عليها، فالميت مر في القرآن كما مر بك أنه لا يسمع والغائب لا يعلم الغيب وهكذا الأولياء والصالحون الموتى لا يعلمون أن أحدا جاء إلى قبورهم واستغاث أو استعان أو استشفع بم ونحو ذلك، فعلى هذا لا يشفع للكافر والمشرك كمن يدعو غير الله أو يذبح أو ينذر لغيره تعالى.

والشفاعة إنما تطلب يوم القيامة ممن يأذن الله له با من الأنبياء والأولياء والصالحين بدليل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلاً ﴿١٠٩﴾ ﴾ [1] [طـه: ١٠٩]، ومن الجائز أن يطلب من الأولياء والصالحين الأحياء الدعاء كما كان الصحابة يسألون النبي ﷺ الدعاء حينما يحتاجون إلى الغيث والنصر على الأعداء ونحو ذلك.

أيها القارئ الفطن: قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [2] [النحل: ٢٠]، يعني: أن أولئك الأولياء والصالحين موتى وليسوا بأحياء فهم بذا سألوا الأموات مالا يقدرون عليه بخلاف ما إذا كان الرجل الصالح حيا غير ميت فإنه يجوز سؤال ما يقدر عليه كأن تقول له: يا شيخ اسأل الله لي كذا وكذا أو أعني يا فلان على قضاء ديني أو حمل متاعي على دابتي ونحو ذلك: مما يقدر عليه.

وبعد هذا الاستعراض الموجز لحالة الجاهليين أولئك الذين قاتلهم رسول الله ﷺ بأمر من الله تعالى، بعد هذا سؤال يطرح نفسه أو يمليه الواقع الذي يعيشه الكثير من أبناء المسلمين ألا وهو:

---

(١) سورة طه آية : ١٠٩ .

(٢) سورة النحل آية : ٢٠ .

الفرق بين الجاهليين وبين الذين يدعون الأولياء والصالحين

ما الفرق بين أولئك الجاهليين وبين الذين يدعون الأولياء والصالحين (الموتى) أو الغائبين من أهل زماننا؟

والجواب أنه ليس هناك فرق وذلك من وجوه:

أولها: أنهم لا يعتقدون أنها تملك من ملك الله شيئا وكذلك الذين يذهبون إلى قبور الأولياء والصالحين من أهل زماننا يدعونهم يعتقدون نفس الاعتقاد في مثل الحسين بن علي، وعبد القادر الجيلاني، والسيد البدوي رحمهم الله وسائر الصالحين وغيرهم.

ثانيا: أن الجاهليين يعتقدون أن أولئك الصالحين من الموتى لهم جاه عند الله تعالى فيرفعون حوائجهم إلى الله ﷻ معتقدين أنهم يقربونهم إليه وكفرهم ربي تبارك وتعالى مع قولهم: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [1] [يونس: ١٨]، وقولهم: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [2] [الزمر: ٣]، وكذلك أهل زماننا من رواد القبور يعتقدون في السادة والأولياء نفس الاعتقاد.

والدعاء من العبادة: إذ سمى الله تبارك وتعالى الدعاء عبادة حيث قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾ [3] [غافر: ٦٠]، ففسر تعالى الدعاء بالعبادة، بل جاء صريحا من قول رسول الله ﷺ فقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير وابن حبان والحاكم أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدعاء هو العبادة» [4] [1] وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة أن رسول

---

(١) سورة يونس آية : ١٨ .

(٢) سورة الزمر آية : ٣ .

(٣) سورة غافر آية : ٦٠ .

(٤) الترمذي تفسير القرآن (٢٩٦٩) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٢٨) .

الله ﷺ قال: ﴿ من لم يدع الله ﷻ يغضب عليه ﴾ [٢] . [٣]

كيفية تطبيق الصحابة التوسل المشروع تطبيقا عمليا بعد وفاة الرسول ﷺ

وقد فهم الصحابة هذا المعنى وأن من دعا غير الله تعالى فهو مشرك كافر وإن دعا ملكا مقربا أو نبيا مرسلا، وما كانوا يفعلون هذا حتى في أحلك الظروف، ولنضرب على ذلك مثلا من حياة الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ فقد قحط الناس في خلافة عمر بن الخطاب فكان يطلب من العباس عم رسول الله ﷺ أن يستسقي لهم من الله تعالى حتى إذا كانوا في المصلى قال عمر: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا [٤] فاسقنا... فيسقون". [٥]

فجعل العباس يدعو وهم يؤمنون، فهؤلاء صحابة رسول الله ﷺ لم يفعلوا ما يفعله بعض أهل زماننا اليوم من الاستغاثة أو طلب الشفاعة وهم أعرف الناس بالحلال والحرام فهم الذين صلوا خلفه وغزوا معه وحجوا معه وجلسوا في مسجده يسمعون خطبه وتأدبوا بآدابه وتعلموا منه ﷺ .

---

(١) حديث صحيح ، انظر صحيح الجامع ٣٤٠٧ .

(٢) الترمذي الدعوات (٣٣٧٣) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٢٧) .

(٣) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٢٤) من حديث أبي هريرة ، وهو حديث حسن انظر صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٢٤) .

(٤) أي: تتقرب إليك بدعاء عم نبينا ، وهذا لا حرج فيه: لأنه حي طلب والدعاء من الحي جائز .

(٥) رواه البخاري (٢/ ٥٧٤ - الفتح) ، من حديث أنس .

شد الرحال إلى قبر نبي أو ولي

وكذلك لا يجوز شد الرحال إلى قبر نبي أو ولي ونحو ذلك لأن ذلك وسيلة من وسائل الشرك المفضية إليه وللوسائل أحكام الغايات لذلك نجد أن رسول الله ﷺ قد حرم ذلك فقال: ﴿لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى﴾ [1] . [2] وهذا يعني أن السفر لا ينشأ لأجل قبر صالح أو ضريح ولي ونحوه، ونحن نحب النبي ﷺ أكثر من محبة النفس والوالد والولد والأهل والمال ونحب الصحابة ونحب الأولياء الصالحين ونوالي من والاهم ونعادي من عاداهم ونعلم أن من عادى لله وليا فقد آذنه الله بالحرب، لكن قل لي بربك هل يقتضي حب هؤلاء ومحبتهم أن نعبدهم من دون الله ونتخذهم أندادا لله ونتوسل بم ونطوف بقبورهم ونقدم لهم النذور وننحر لهم القرابين.

ومن هنا ندرك أن دعاء أي مخلوق من دون الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ شرك به سبحانه وتعالى، وذلك كمن يأتون إلى قبور الأولياء والصالحين فيسألونم حاجات شتى كشفاء مرضاهم ورد غائبهم وإنجاب عقيمهم ورد ضوالهم وإن قالوا إننا نعتقد أن كل شيء من الله سبحانه وتعالى، فهذا هو بعينه كما مر بك شرك الجاهليين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ وهذا هو الشرك الأكبر.

---

(١) البخاري الجمعة (١١٣٢) ، مسلم الحج (١٣٩٧) ، النسائي المساجد (٧٠٠) ، أبو داود المناسك (٢٠٣٣) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤٠٩) ، أحمد (٢/٢٣٤) ، الدارمي الصلاة (١٤٢١) .

(٢) رواه البخاري (٣/ ٧٦ - الفتح) ، ومسلم ٢/ ١٠١٤ ، من حديث أبي هريرة .

الأدلة على أن دعاء الأولياء من دون الله تعالى شرك أكبر

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [1] [الجـن: ١٨]، و(أحد) نكرة في سياق النهي يفيد العموم يعني لا يدعى إلا الله وحده، وأن دعاءه لغير الله شرك أكبر محبط لأعماله كلها كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] [الفرقان: ٢٣]. والدليل على هذا أيضا قوله تعالى في آخر سورة الأعراف: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [3] [الأعراف: ١٩١]. والآيات بعدها إلى الآية (١٩٧) كلها نصوص صريحة في أن دعاء غير الله تعالى شرك أكبر مخرج من الملة.

---

(١) سورة الجن آية : ١٨ .
(٢) سورة الفرقان آية : ٢٣ .
(٣) سورة الأعراف آية : ١٩١ .

التوسل المشروع

وهو التوسل بذات الله تعالى كقولك: يا الله، وبأحد أسمائه كقولك: يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم، أو صفاته كقولك: اللهم برحمتك أستغيث ونحو ذلك أو بدعاء الرجل الصالح الحي الموجود فتقول يا شيخ ادع الله لي ونحو ذلك، كما استسقى الصحابة برسول الله ﷺ . وتوسل بالعمل الصالح كقصة أصحاب الغار الذين أطبقت عليهم صخرة فسألوا الله تعالى بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم وخرجوا يمشون، فلك أن تقول اللهم إني أسألك بحبي لنبيك وتوحيدي لك وطاعتي لك ولرسولك أن تمنحني كذا وكذا.

أما سؤالك الله تعالى بجاه النبي والولي أو الإقسام على الله تعالى بأحد من هؤلاء فهذه بدع مفضية إلى الشرك فهي محرمة وإن كانت لا تصل إلى الشرك لأن السائل سأل الله وحده، أما سؤالك الموتى أو الغائبين مباشرة فهذا هو الشرك الأكبر.

وقد أرشد سبحانه عباده إلى أن يسألوه وحده ولا يسألوا أحدا غيره، وقد وعد أن يجيب سائله - ولو بعد حين - قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (1) [البقرة: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾ (2) [غافر: ٦٠]. وأرشدنا أن لا نستعين إلا به فنحن نقول في كل ركعة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ (3) [الفاتحة: ٥].

ومع هذا تجد الكثير ممن يصلون إذا أبطأ عليه تحقيق مطلب له من المطالب جعل يلجأ إلى القبور والأضرحة، والله تعالى قادر أن يجيبه في الحال ولكن هذا الابتلاء والامتحان للعباد فقد اقتضت حكمته تعالى فتنة العباد واختيارهم فلربما أخرت إجابة السائل على مراده ليعلم صدقه إن كان صادقا فيثبت عند الشدائد فلا ي لها إلا في الله فلا يسأل غيره

(١) سورة البقرة آية : ١٨٦ .
(٢) سورة غافر آية : ٦٠ .
(٣) سورة الفاتحة آية : ٥ .

وإن أطبقت الجبال على رأسه أو انشقت له الأرض لتبتلعه، وهذا قوي الثقة بالله تعالى قوي الاستعانة والتوكل عليه فحري به أن يجاب.

وآخر مفتون فعند الامتحان يضعف إيمانه ولا يرقي به إلى الاستعانة به تعالى فزين له الشيطان أن يـ ل حاجته بالأضرحة والقبور ليخرجه من دينه ويبر به قسمه الذي أخذه على نفسه حين قال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (1) [ص: ٨٢: ٨٣].

ومصداق ذلك الابتلاء للمخلوقين قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (2) [العنكبوت: ١ - ٣]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (3) [التوبة: ١٢٦].

عدم الاقتداء إلا برسول الله ﷺ

ومن الفتن أن ترى أمما وشعوبا وأناسا ربما يقال إنهم من أصحاب المال والجاه والسلطان أو أنهم عند الناس من أهل العلم بمظاهرهم تجدهم يفعلون ما يفعل الجهلة عند القبور، ولربما سألهم الناس عن حكم هذا العمل فيفتون الناس بأن هذا ليس الشرك المنهي عنه، فالناس يقتدون بهم في ذلك، ولكن العاقل لا يفعل هذا، لأنه يقول: ألا يسعني ما وسع رسول الله ﷺ واتباعه من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم؟

فما دام أن الرسول لم يدع غير الله في كل حياته ولم يعرف عنه ذلك لا في السلم ولا في الحرب ولا في السراء ولا في الضراء بل الثابت عنه ﷺ أنه إذا ألمت به ملمة أو نزلت

(١) سورة ص آية : ٨٢ ، ٨٣ .
(٢) سورة العنكبوت آية : ١ - ٣ .
(٣) سورة التوبة آية : ١٢٦ .

به نازلة قال لبلال: "يا بلال أرحنا بها"، [1] أي: بالصلاة، وفي كل صلاة نقرأ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [2] [الفاتحة: ٥]، أي: لا نعبد إلا أنت ولا نستعين إلا بك وقد قال تبارك وتعالى في القرآن الكريم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [3] [الأحزاب: ٢١]. ولم يقل: لقد كان لكم في أهل زمانكم أسوة حسنة، وانظر إلى بني إسرائيل حين أطاعوا علماءهم وعبادهم في معصية الله تعالى ماذا قال الله تعالى عنهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [4] [التوبة: ٣١]، فلما سمعها عدي بن حاتم قال: يا رسول الله إنا لم نكن نعبدهم - إذ كان نصرانيا قبل إسلامه - فقال له رسول الله ﷺ "أليسوا يحلون ما حرم الله فتحلونه ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ قال: بلى قال: فتلك عبادتم"، [5] أخي في الله ما الفرق بين رجل يقول: إن عيسى ابن الله وله شيء من الألوهية كما هو عند النصارى وبين رجل يدعو غير الله معتقدا أنه يجيب سائله، وهذا مأخذ يأخذه النصارى على بعض من ينتسب للإسلام من أهل هذا الزمان، فهم بفعلهم محسوبون على المسلمين مع أنم ليسو منهم لتوسلهم البدعي الشركي بالأموات والأولياء والصالحين. ويؤسفنا أن بعض النصارى ممن يقرأ عن حياة الجاهليين أجدادنا يقول هاهم رجعوا إلى وثنية آبائهم العرب، ونسوا أو تناسوا بأنم وقعوا بأكبر حين نسبوا لله تعالى الولد، تعالى الله عن أن يلد أو يولد وقد قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾ [6] [الشورى: ١١]. وقال سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٦٤) ، عن رجل من أسلم (صحابي) الحديث ، انظر صحيح البخاري (٧٨٩٢) .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٣) سورة الأحزاب آية : ٢١ .
(٤) سورة التوبة آية : ٣١ .
(٥) رواه الترمذي (٥/ ٢٥٩) من حديث عدي بن حاتم > وهو حديث حسن ، انظر غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام رقم (٦) .
(٦) سورة الشورى آية : ١١ .

ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ (1) [مريم: ٨٨ -٩٢].

لما تركنا الهدى حلت بنا نقم وهاج للظلم والطغيان طوفان

دعاء غير الله تعالى يحبط الأعمال الصالحة

أيها الإخوة: لا شك أن دعاء غير الله تعالى هو الضلال بعينه قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ (2) [الأحقاف: ٥]. واسمع ما يقال لهم عند الموت حين تتوفاهم الملائكة قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (3) [الأعراف: ٣٧]. والكافر حابط عمله كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ (4) [الفرقان: ٢٣]. وذلك لأنه خالف أمر الله وأمر رسول الله ﷺ فمخالفة أمر الله تعالى كما مر معك في الآية السابقة ومخالفة أمر رسول الله ﷺ تكمن في معصيته، حيث أمر أن لا يسأل إلا الله تعالى فقال ﷺ ﴿إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله﴾ (5) . (6) والشرك لا يقبل بحال وتحبط الأعمال الصالحة من صلاة وصيام وحج قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى

(١) سورة مريم آية : ٨٨ - ٩٢ .
(٢) سورة الأحقاف آية : ٥ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٣٧ .
(٤) سورة الفرقان آية : ٢٣ .
(٥) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، أحمد (٣٠٨/١) .
(٦) رواه الإمام أحمد (٣٠٦/١) من حديث ابن عباس وهو حديث صحيح ، انظر صحيح الجامع ، (٧٩٥٧) .

ﵟٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَﵞ [1] [الزمر: ٦٥]. وقال تعالى: ﵟإِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖﵞ [2] [المائدة: ٧٢].

فيا أخي المسلم احذر من الشرك، ووسائل الشرك كالبناء على القبور مساجد أو غيرها، أو أن تقصد قبرا يدعى من دون الله أو يذبح لصاحبه، فإن الشرك خافه أبونا إبراهيم عليه السلام على نفسه قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﵟوَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ﵞ [3] [إبراهيم: ٣٥]. أي جنبنا أن ندعوها من دونك يا رب، والأصنام يعلمون أنا جامدة لكنها تمثل أشخاصا صالحين من ورائها.

قال الإمام إبراهيم التيمي (ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم ؟).

وعليك أخي المسلم أن تدعو الناس إلى ترك مثل هذه السخافات والعادات الجاهلية الشركية التي لا تختلف عما كانت عليه الجاهلية الأولى، وأن يخلصوا الدعاء لله ﷻ ويستجيبوا لبارئهم تعالى حيث قال: ﵟٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚﵞ [4] [غافر: ٦٠]. وقوله تعالى: ﵟوَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ﵞ [5] [البقرة: ١٨٦].

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٥ .
(٢) سورة المائدة آية : ٧٢ .
(٣) سورة إبراهيم آية : ٣٥ .
(٤) سورة غافر آية : ٦٠ .
(٥) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

من وسائل الشرك

ولنعلم أن من وسائل الشرك الصلاة في المساجد التي فيها قبور وأن الصلاة باطلة فيها لقول النبي ﷺ ﴿ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾ [١] . [٢] .

(١) البخاري الجنائز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (١٤٦/٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة .

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس